الابعاد الجيوسياسية لفتوى الجهاد الكفائي عام ٢٠١٤

وزارة م. د. فاضل جويد عداي الجوذري
التربية /مديرية تربية محافظة الديوانية

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٤/٨/٦

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٤/١٠/٦

الخلاصة :

اسهمت الفتوى المباركة للجهاد الكفائي التي اصدرتها المرجعية الدينية العليا في مدينة النجف الأشرف في حزيران عام ٢٠١٤، بشكل كبير في افشال الاستراتيجيات التي كانت تستهدف نشر الفوضى في العراق وصولاً الى تجزئته الى دويلات اصغر. وقد ادرك الشعب العراقي بعد صدور الفتوى بأن هناك خطر كبير محدق بالدولة والشعب ، فهو يعلم ان فتاوى الجهاد لا تصدر من المرجعيات الدينية الا في حالة الأخطار الكبيرة التي تهدد كيان الدولة والمقدسات ، فكانت الاستجابة سريعة جداً سواء اكان من المجتمع او من المؤسسات ذات العلاقة ،التي شكلت بمجموعها انموذجاً يحتذى من التعبئة الشعبية اسهمت بتقديم العون والمساعدة للقوات الأمنية ، وعملت بعد الايام الأولى لصدورها على قلب الموازين ،اذ اصبحت المبادرة بيد تشكيلات الحشد الشعبي الذي تشكلت على غرار الفتوى والقوات الأمنية العراقية.

ولم تكن الفتوى المباركة قد اقتصرت على الجوانب والأبعاد العسكرية، وانما تضمنت ابعاداً واهدافاً عدة اسهمت كل منها بتحقيق النتائج الايجابية والغرض المنشود من الفتوى ، لاسيما الابعاد الاجتماعية ، فهي كانت تهدف الى الحفاظ على السلم والنسيج المجتمعي العراقي ، ونبذ الخلافات ، واستعادة الاستقرار والتعايش السلمي في صفوف الشعب ، فضلا عن الابعاد الاقتصادية ، فقد ركزت على اصلاح المنظومة الاقتصادية التي قام بتدميرها التنظيم الارهابي في المحافظات التي سيطر عليها ، وتحقيق الاستقرار الاقتصادي في عموم العراق ، ناهيك عن الابعاد السياسية والانسانية والدولية .

الكلمات المفتاحية : الابعاد ، الجيوسياسية، الفتوى... الجهاد الكفائي

Geopolitical Dimensions of the 2014 Fatwa on Sufficient Jihad

D. Fadel Jawid Aday Al-Jawthari

Education / Directorate of Education of Diwaniyah Governorate

Date received: 1/2/2024
Acceptance date: 11/3/2024

Abstract:

The Fatwa on competent jihad issued by the religious authority in Najaf in 2014 contributed greatly to the Failure of Strategies that aimed to spread chaos in Iraq and lead to its Fragmentation into smaller states. After the Fatwa was issued the Iraqi people realized that there is a great danger facing the state and the people. They know that jihad fatwas are not issued by religious authorities except in the case of great dangers which entity of state and sanctities . The response was very quick, whether it was from society or from the relevant institution that were formed. As a whole, it is a role model for popular mobilization that contributed to providing did and assistance to the security forces, and worked after the first days of its issuance to turn the scale,as the initiative is in the hands of the popular mobilization, which was formed along the lines of the fatwa and the Iraqi security forces.

The blessed fatwa was not limited to military aspects and dimension, but rather included several dimensions and goals, each of which contributed to achieving the desired purpose of the fatwa, which we will discuss in paragraphs of this research.

Keywords: Dimensions, geopolitical, of the 2014 Jihad fatwa

المقدمة :

تعد الحوزة العلمية في مدينة النجف الاشرف السباقة دائماً على المراحل الزمنية المختلفة في تخريج رجال الدين والاعلام الذين قدموا خدمات جليلة للمجتمع في المجالات كافة ، وهم تقع عليهم مسؤولية التصدي لكل شائبة في المجتمع، ويتولون اصدار الفتاوى الجهادية لدرء المخاطر والازمات التي تعرض لها العراق وسائر الدول الاسلامية، التي توجت بأصدار زعيمها الحالي المرجع الديني الاعلى السيد علي الحسيني السيستاني الفتوى المباركة للجهاد الكفائي، لصد خطر الجماعات التكفيرية الارهابية عام ٢٠١٤ ،وطردها من المحافظات والمناطق التي سيطرت عليها، بعد ان وقعت القوات الامنية العراقية في حالة من الانهيار ونوع من فقدان السيطرة والانقسام في صفوفها ، وواجهت صعوبات للوقوف بوجه الجماعات التكفيرية المنظمة والمعد لها مسبقاً من قبل الدول الداعمة لها.

تعد فتوى الجهاد الكفائي اهم حدث تاريخي في العقدين الاخرين على المستويين المحلي والاقليمي بل وحتى الدولي، وتأتي اهميتها لانها السبب الرئيس الذي انقذ العراق من الخطر المحدق به اولاً، وكونها تضمنت ابعاداً واهدافاً في كافة مجالات الحياة التي من شأنها ان اسهمت في بناء وتثبيت القيم الانسانية النبيلة، وعابرة للمصالح القومية والعرقية والطائفية ثانياً، فضلاً عن كونها الحدث المفاجئ ، فلم تكن ان تتوقع الدول التي ساهمت في صنع الجماعات المسلحة التكفيرية ان تصدر فتوى للجهاد ضدها ، اذ تظهر المراحل الزمنية السابقة صعوبة اصدار فتاوى الجهاد الا في حالات الخطر الشديد، هذا اذا ما عرفنا ان آخر فتوى للجهاد من المرجعيات الدينية قد صدرت ضد الاحتلال البريطاني في عشرينيات القرن الماضي .

مشكلة البحث

شهد العراق عام ٢٠١٤ احداثا تاريخية خطيرة ، تمثلت باجتياح عناصر تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) للمحافظات الشمالية الغربية ، وسيطر عليها مهددا بذلك وجود الدولة العراقية ، بعد ان دمر كل شيء بما فيها مؤسسات الدولة ، وعمد الى اشاعة الفوضى وتغييب للنظام والامن وسلطة القانون ، لذلك تمثلت مشكلة البحث بالتساؤل الاتي :

ما هي الابعاد والاهداف الجيوسياسية التي انطوت عليها الفتوى المباركة للجهاد الكفائي الصادرة عام ٢٠١٤ من قبل المرجعية الدينية العليا في مدينة النجف الاشرف؟ ، وكيف اسهمت بمستوياتها كافة على خلق

حالة من التلاحم الوطني والمؤسسي ، وعودة الاستقرار والامن واعادة الاعمار سواء اكان في المناطق العراقية التي سقطت بيد تنظيم داعش الارهابي ، او في جميع ارجاء الوطن والنسيج المجتمعي العراقي برمته ؟.

فرضية البحث

ان البحث يتكئ على مبدأ اولي مفاده ان الفتوى المباركة للجهاد الكفائي التي اصدرها المرجع الديني الاعلى في مدينة النجف الاشرف عام ٢٠١٤ ، قد تضمنت ابعاداً واهدافاً في كافة النواحي مثلت بمجموعها العامل الابرز الذي ساهم في تحرير المناطق والاراضي العراقية ، وترسيخ مسببات الاستقرار والتعايش السلمي في النسيج المجتمعي العراقي، والبدأ بمرحلة اعمار واعادة تنظيم المناطق المدمرة، واستعادة هيبة الدولة ورفع مكانة العراق على الصعيدين الاقليمي والدولي.

هدف البحث :

كانت المرجعية الدينية العليا في مدينة النجف الاشرف تراقب المخططات الامريكية منذ دخول قواتها الى العراق عام ٢٠٠٣، وهي تدرك تماما ان الهدف منها هو اضعاف كيان الدولة وصولا الى تقسيم البلد الى دويلات صغيرة متناحرة ، لذلك افشلت بحكمتها ووعيها بالامور مخطط الحرب الاهلية (٢٠٠٦ــ٢٠٠٨) ، وفي عام ٢٠١٤ اجتاحت عناصر تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) المحافظات العراقية الشمالية الغربية وسيطرت عليها ، وادركت المرجعية الرشيدة انه مخطط عملت على تنفيذه القوى الدولية والاقليمية التي اسهمت بصناعة هذا التنظيم بعد فشل مخطط الحرب الاهلية ، يهدف الى اثارة البغضاء والفتن في صفوف الشعب ، وزجه في مستنقع الاقتتال الطائفي ، وازاء هذه المخاطر والتحديات الكبيرة التي تعرض لها العراق اصدرت المرجعية الدينية فتواها المباركة لافشالها والحفاظ على وحدة العراق ، لذلك يهدف البحث الى توضيح وابراز الابعاد الجيوسياسية المتحققة من الفتوى المباركة للجهاد الكفائي التي اصدرتها المرجعية الدينية العليا في مدينة النجف الاشرف عام ٢٠١٤، وتوضيح اهمية كل منها في نشر الجوانب الايجابية والمبادئ والقيم الانسانية المرجوة منها في مجالات الحياة المتعددة.

اولاً: الابعاد الاجتماعية:

تمثل بلاد وادي الرافدين موطن غالبية الاديان والاجناس والمعتقدات البشرية، ذلك التنوع الذي ولد اديان وطوائف وقوميات متعددة مثلت بمجموعها النسيج الاجتماعي المعقد في العراق، جدول (١)، وقد اتخذت القوميات والطوائف الكبيرة مناطق تكاد تكون مختصة بها ضمن خريطة

جدول (١) القوميات والاديان والمذاهب في العراق عام ٢٠٢٢

ت	القومية	عدد السكان	%	ت	الاديان والطوائف	عدد السكان	%
١	العربية	٣١٦٨٦٦٦٢	٧٥	١	المسلمين	٤٠٠٣٦٤٣٩	٩٤,٨
٢	الكردية	٦١٢٤٤٠٠	١٤.٥		المسلمين الشيعة	٢٧٣٦١٨٠٥	٦٥,١
٣	التركمانية	٣٠٠٠٠٠٠	٧.١		المسلمين السنة	١٢٦٧٤٦٩٤	٢٩,٧
٤	قوميات اخرى(*)	١٤٣٧٨٢١	٣.٤	٢	غيرالمسلمين (**)	٢٢١٢٤٤٤	٥,٢
	المجموع	٤٢٢٤٨٨٨٣	١٠٠		المجموع	٤٢٢٤٨٨٨٣	١٠٠

المصدر : **مركز العصر الاسلامي للدراسات الاستراتيجية في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، مركز دراسات العصر، مكونات الشعب العراقي عام ٢٠٢٢ .**

(*) يوجد العديد من الاقليات القومية في العراق تسكن مناطق متفرقة من المحافظات العراقية، وقد اندمجت مع المكونات والطوائف العراقية ومنها (السريانيين ، والآشوريين ، والارمن ، والكلدانيين).

(**) توجد ديانات اخرى من غير المسلمين (كالمسيحية ، والايزيدية ، والصابئة المندائية ، والشبك) .

العراق، خريطة (١) . وقد مثل هذا النسيج البشري المتنوع موضع ضعف وهشاشة في بعض المراحل التاريخية التي مر بها العراق، فقد وضفتها القوى المعادية للعراق لاثارة النعرات الطائفية في مراحل زمنية معينة بهدف اضعاف التلاحم والترابط بين ابناء الشعب العراقي[١]، وكان هذا العامل اهم الركائز التي اعتمدت عليها الاستراتيجية الامريكية في بداية دخولها للعراق عام ٢٠٠٣ الرامية الى تقسيمه لثلاث دويلات صغيرة تبقى متناحرة الى الابد، فقد غذت المخابرات الامريكية والصهيونية النعرات والاقتتال الطائفي بشكل مدروس ومخطط له مسبقاً، واستطاعت

خريطة (١) التوزيع الجغرافي للقوميات والاقليات الدينية في العراق

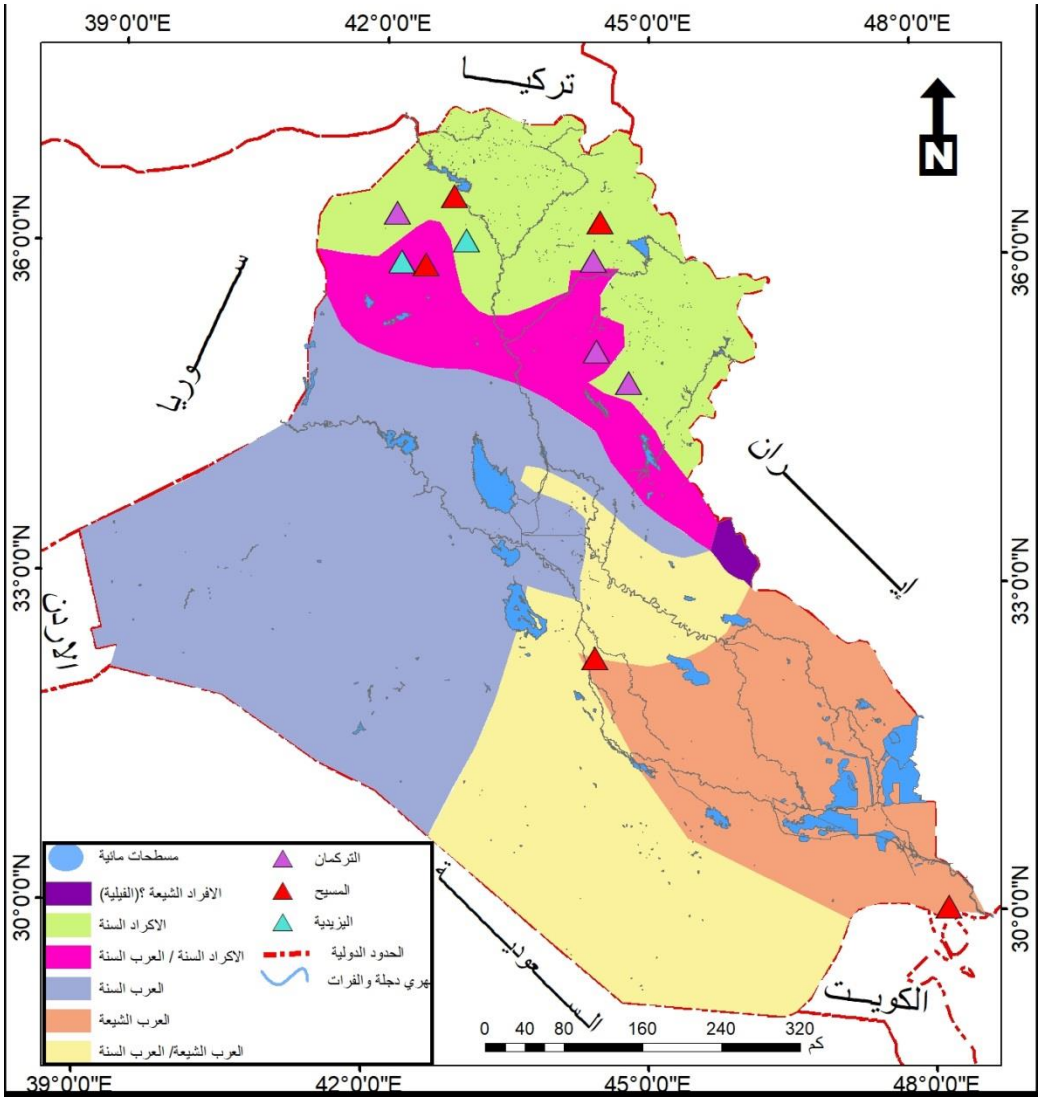

المصدر: جواد صالح مهدي ، تقييم جغرافي لستراتيجية الأمن القومي (٢٠٠٧-٢٠١٠)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة كربلاء ، ٢٠١٥ ، ص ١٢٦ .

ان تقنع بعض العراقيين من الذين غرر بهم وتحولهم من افراد وطنيين الى افراد طائفيين ، وبذلك برزت الولاء الطائفي والقومي لديهم على الولاء الوطني[٢]، وقد ادت الحرب الطائفية (٢٠٠٦ــ ٢٠٠٨) الى تعطل مسيرة البناء والتقدم وعمل مؤسسات الدولة كافة، وهددت الثروات البشرية والطبيعية، وعملت على تشرذم السكان وتعدد ولاءاتهم الخارجية، فضلا عن ان الاحزاب والتيارات السياسية التي نشطت في الساحة العراقية بعد عام ٢٠٠٣، قد تبنت الخطاب الطائفي ورسخت القناعات لدى البعض بان الحل الامثل هو التقسيم ، وذلك من اجل استمالة الجماهير وكسب ودهم للحصول على اكثر قدر من الاصوات في الانتخابات ، ولكنه بالحقيقة مستنقع للضعف والحروب الاهلية الابدية .

ادى وعي العراقيين ومعرفتهم بالاستراتيجيات التي وضعها الغرب الى احباط مستتقع الحروب الاهلية في العراق، لذلك اقدمت الاستراتيجية الامريكية الى تنفيذ المخطط الثاني لعله ينجح في تحقيق مشروعها، فأقدمت عام ٢٠١٤ على السماح للارهابيين بما يعرف بتنظيم الدولة الاسلامية (داعش)[*] من السيطرة على بعض المناطق في شمال غرب العراق ، بعد ان هيأت البيئة المناسبة له، الذي ترجع اصوله الى الجماعات المتشددة التكفيرية ، التي تشكلت في الاردن بداية التسعينيات من القرن الماضي بما يسمى بتنظيم القاعدة ، وقد نشط عملها في العراق بدأ من عام ٢٠٠٦ ، وهي تتخذ من تكفير الاخرين منهجا لاستراتيجيتها المبنية على القتل والتهجير من اجل ترسيخ وجودها ، وكان تنظيم الدولة قد خطط له من قبل القوى الدولية والاقليمية التي اسهمت بتشكيلة الى اثارة الاقتتال الطائفي في صفوق الشعب وصولا الى تقسيم العراق لثلاث دويلات[٣] ، ومن اجل تحقيق ذلك فقد صيغت استراتيجيته بما تتناسب وتحقيق الغرض المنشود، فقامت الجماعات الارهابية بتدمير كل شيء في المجتمع، لاسيما التاريخ والتراث والغاء ثقافة المجتمع، وقتل الاقليات الدينية والقومية وتهجيرها، والقيام بعمليات الاستعباد والسبي الجماعي، فضلاً عن القتل على اسس عرقية وطائفية.

ادركت المرجعية الدينية في النجف الاشرف بالاستراتيجيات والاهداف المبتغاة من وراء التنظيم الارهابي في العراق ، ولخطورة ذلك يجب ان يكبح باسرع وقت ممكن قبل توجهة جنوبا نحو بغداد والمحافظات الاخرى ، ورأت المرجعية ان الشعب العراقي هو الاولى بالدفاع عن دولته وارضه ومقدساته، ولايمكن ان يستمر الاعتماد على الدول والجهات التي تدعي مقاتلة الارهاب وهي تعد اطراف اساسية داعمه له.

وازاء هذه التهديدات والمخاطر الصعبة التي يمر بها العراق اصدرت المرجعية الدينية العليا في مدينة النجف الاشرف ممثلة بسماحة المرجع الديني الاعلى السيد علي السيستاني (دام ظله) فتوى (الجهاد الكفائي)[**]، خاطبت عبرها الشعب العراقي بضرورة درء المخاطر المحدقة بالعراق والدفاع عنه وهو واجب كفائي، وعلى من يستطيع حمل السلاح التطوع للغرض المقدس ، على ان يكون ذلك ضمن اطار الدولة العراقية، وهو اشارة دقيقة بان يجب ان يكون المتطوعين ضمن تشكيلات اجهزة الامن الرسمية، فضلاً عن ان خطابها لم يكن قد وجه لطائفة او قومية او ديانة معينة، بل كان موجه لكل العراقيين على اختلاف مكوناتهم العرقية والدينية والمذهبية[٤].

ادرك الشعب العراقي بعد اعلان فتوى الجهاد الكفائي بان هناك خطر كبير قادم، بسبب الثقة الكبيرة المتوفرة عند الشعب بالمرجعيات الدينية في مدينة النجف الاشرف، وهم يدركون تماماً ان فتاوى الجهاد لا يمكن

ان تصدرها المرجعيات الدينية اثناء الامور الطبيعية ،ولكن تصدرها في حالة وجود التهديدات والاخطار الكبيرة ، المستهدفة اراضي ومناطق الوطن كافة وجميع محافظاته ، ولا تستثني طائفة او قومية او محافظة معينة، لذلك لبى عدد غير قليل من سكان المحافظات الوسطى والجنوبية نداء المرجعية الرشيدة واندفعوا للتطوع والاعلان عن تأسيس تشكيلات الحشد الشعبي، بل وحتى عدد من سكان المحافظات الشمالية الغربية.

لاشك ان فتوى الجهاد الكفائي كانت انطلاقة رائدة ومهمة لاستنهاض همم الشباب العراقي من اجل الجهاد في سبيل الله لنصرة الدين، والذود عن الوطن والمقدسات والمحافظة على وحدة العراق وسيادته، فهي تعد فعل تعبوي سريع وناجح ومستوعبة للمرحلة التي يمر بها العراق وكان هدفها وطني ونبيل[٥]، لذلك كانت السرعة الكبيرة في استجابة المتطوعين للفتوى، وهذا يعد بحد ذاته دليل واضح بان العراقيين بكل اطيافهم وقومياتهم يؤمنون بمصداقية المرجعية الدينية العليا ويثقون بها ، بدليل ان قوات الحشد الشعبي التي تشكلت على غرار الفتوى اشتركت بها جميع اطياف وقوميات واقليات الشعب العراقي.

كان للفتوى المباركة للجهاد الكفائي ابعاد واهداف عديدة ومن اهمها البعد الاجتماعي، فهي كانت تهدف للحفاظ على السلم والنسيج المجتمعي العراقي، فضلا عن ان الخطابات الدينية بعد الفتوى اكدت على هذا الاتجاه ، مؤكده ان المرجعية لاتسمح بتغليب الوجود الطائفي على الهوية العراقية التي تحوي كل المكونات، داعيه الى الابتعاد عن كل مايثير الكراهية والبغضاء ، وتوفير الحرية للجميع لممارسة طقوسهم الدينية البعيدة عن تكفير الاخرين ، اذ ان المرجعية الدينية تدرك تماماً ان الارهابيين لا يستهدفون طائفة او قومية دون اخرى، وهذا ما حصل فعلاً من خلال استهدافهم للطوائف والاقليات في المحافظات التي سقطت بايديهم، فهم استخدموا استراتيجية القتل والاعدامات والتهجير وتدمير وهدم الممتلكات والمنازل، والسبي مع الاقليات ومع الناس الذين لا يقدمون الولاء والطاعة لهم، والذين لا يدفعون لهم الاموال ولم يلتحقوا معهم في القتال، وان شعار نصرة العرب السنة الذي جاءوا به ما هو الا خطة لاستمالة سكان المناطق الغربية. ومن خلال التمعن في فقرات الفتوى المباركة نجد انها أسست لخارطة طريق صحيحة وسليمة في المجتمع العراقي، فهي تعد رسالة واضحة للشعب العراقي بضرورة توحيد الصفوف ونبذ الخلافات والتفرقة ، وتغليب الحس الوطني ، لذلك فهي كانت سبب رئيس لعودة الاستقرار للوطن وعودة التعايش السلمي بين ابناءه ،وترسيخ للامن الاجتماعي وحفظ حضارة العراق واستمرارها.

ثانياً: الابعاد العسكرية

ادت احداث عام ٢٠١٤ في العراق المتمثلة باجتياح ما يعرف بتنظيم (الدولة الاسلامية (داعش)) للمحافظات العراقية الشمالية الغربية، حالة من الفوضى والارباك في صفوف الجيش والقوات الامنية العراقية المتمركزة في تلك المحافظات، اذ ان الاستراتيجيات العسكرية التي تطبقها القوات المسلحة العراقية تعد تقليدية ولم تستطع استيعاب استراتيجية المناورة والتنويع في تطبيق الخطط العسكرية، والهجوم العسكري المباغت من جهات مختلفة لاحداث الارباك في صفوفها، والاستخدام المتنوع للاسلحة بحسب ظروف المعركة التي طبقها التنظيم الارهابي[٦]. فضلاً عن نجاح الارهابيين في استخدام الدعاية والحرب النفسية والاعلامية التي كان لها وقع وتأثير كبير في احداث الارباك وعدم التركيز في صفوف الجيش والقوات المسلحة العراقية ، وان خبرة القوات العراقية في حرب المدن لم تكن كافية بالمقارنة مع العناصر الارهابية التي يبدوا انها كانت مدربة بصورة جيدة على هكذا نوع من المعارك، وان التنظيم استمال الى صفوفه كبار قادة الجيش العراقي والفدائيين في النظام السابق ، ودعا للالتحاق بالتنظيم من كافة ارجاء العالم فاستقطب المهره ، وان الفكر المتطرف قد اوجد نوع من الانصياع والضبط العسكري العالي عند عناصر التنظيم[٧] . ناهيك عن فساد وعدم المبالاة من معظم القيادات العسكرية ، وانضمام عدد من سكان المحافظات الغربية للارهابيين تحت التهديد خوفاً من بطش التنظيم الارهابي، كل ذلك ادى الى حدوث ضعف في العقيدة العسكرية عند اغلب المقاتلين في القطعات العسكرية العراقية المتواجدة في المناطق والمحافظات الغربية، وهو ما ادى الى ضعف بنية المنظومة العسكرية بصورة عامة، وبالتالي انهيارها وانسحابها من تلك المناطق.

كانت المرجعية الدينية العليا متيقنة تماماً بان الخطر كبير ويهدد وجود الدولة العراقية، وذلك لان التنظيم الارهابي تقف وراءه قوى دولية واقليمية، لذلك جاءت الفتوى المباركة للجهاد الكفائي التي اصدرها المرجع الديني الاعلى سماحة السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) في ١٣حزيران عام ٢٠١٤ للتصدي ومقاتلة الجماعات الارهابية التكفيرية، وايقاف زحفها نحو العاصمة بغداد، وكانت استجابة الجماهير سريعة جداً للفتوى، فقد انخرط الكثير منهم للتطوع والبدء بتشكيل فصائل والوية الحشد الشعبي ،التي ساهمت بشكل كبير بإيقاف تقدم الارهابيين في المحافظات العراقية الاخرى.

اثبت الشعب العراقي من خلال استجابته السريعة لفتوى الجهاد الكفائي، والتوجه للالتحاق بتشكيلات الحشد الشعبي الذي تشكل بالسرعة الفائقة بعد اعلان الفتوى، بتأييده المطلق لفتاوى وتوجيهات المرجعية الدينية، لاسيما فيما يتعلق منها بمصير البلد والحفاظ على امنه وسيادته.

وقد ادى تشكيل الوية وفصائل الحشد الشعبي الى رفع الروح المعنوية لدى القوات العسكرية العراقية ،وبدأت تستعيد الثقة بنفسها، لاسيما بعد حث المرجعية في فتوتها المباركة على ضرورة اعادة تنظيم القوة العسكرية المنسحبة، ورص صفوفها ، وينبغي لها ان تتحلى بالشجاعة والاقدام للتغلب على الاحباط الذي اصابها، وخاطبت جميع القوات والتشكلات العسكرية بانكم امام مسؤولية الدفاع عن العراق وشعبه ودفع الارهاب، وعليكم بالبسالة ، والتحلي بالثبات والصبر والشجاعة، وان من يضحي منكم بنفسه يكون شهيداً ان شاء الله تعالى[٨]

بعد دخول الوية وفصائل الحشد الشعبي كقوات مساندة وداعمة للقوات الامنية، اصبحت تتميز باستراتيجيات القتال واخذت تدخل الخلل في صفوف الارهابيين، وذلك بسبب تمتعها بمعنويات القتال العالية ، ناهيك عن ان اغلب مقاتلي الحشد الشعبي من الجنود السابقين الذين احيلوا على التقاعد بعد عام ٢٠٠٣، وهم الذين تتوفر لديهم الخبرة الكافية في خوض المعارك التي حصلوا عليها اثناء اشتراكهم في الحروب التي خاضها العراق قبل الاحتلال الامريكي عام ٢٠٠٣، وهو ما شجع المؤسسة العسكرية للقيام باعادة تنظيم وتسليح القوات المنسحبة، وانهاء حالة الارباك، والاعلان عن البدء بتحرير المناطق والاراضي التي احتلتها الجماعات الارهابية بالتنسيق مع تشكيلات وفصائل الحشد الشعبي والشرطة العراقية[٩] .

لقد حققت فتوى الجهاد الكفائي الاهداف والابعاد الامنية والعسكرية المرجوة منها في الحفاظ على هيبة الدولة ونجاح عدم سقوطها بيد التنظيمات الارهابية، والحيلولة دون تنفيذ المشروع الذي كان يستهدف تقسيم العراق، وطرد الارهابيين ومنعهم من التسلط على مقدرات الوطن، والحفاظ على وحدة ارض العراق وشعبه، وعززت من ترسيخ القانون، وساهمت باعطاء دفعة قوية ودعم معنوي كبير للقوات المسلحة العراقية واستعادة هيبتها وتفوقها العسكري، وهي بذلك ادت الى تغيير معادلة القوة لصالح القوات العسكرية وتشكيلات الحشد الشعبي ، فقد تغير بغعلها الموقف من الاحباط والانسحاب الى التصدي والهجوم ،وبالتالي تحقيق الانتصارات المتلاحقة وتحرير الاراضي العراقية وعودة الحياة الطبيعية للمحافظات المحررة ، على الرغم من ان المسؤولين في الولايات المتحدة الامريكية قد وضعوا مرحلة زمنية طويلة للقضاء على التنظيم تمتد بحدود عام ٢٠٣٠ .

ثالثاً: الابعاد السياسية

ان الهدف الذي جاءت من اجله الولايات المتحدة الامريكية واحتلالها العراق عام ٢٠٠٣، هو اتخاذه منطلقا لتنفيذ مشروعها التقسيمي لدول الشرق الاوسط، وهو ما يعرف بمشروع الشرق الاوسط الكبير، الذي يمثل تنفيذاً لنظرية اليهودي البريطاني برناردلويس الخاصة بتجزئة دول الشرق الاوسط، خريطة (٢)، حتى تسهل السيطرة عليها، وتدمير كل مقوماتها، وطمس الخصائص والهويات الحضارية والثقافية والاسلامية لشعوبها. وكان لابد من مقدمات يتم اتخاذها على الارض من اجل الوصول للهدف المنشود، فعند دخول القوات الامريكية للعراق عمدت على فتح مخازن الاسلحة والعتاد التابعة للقوات المسلحة العراقية امام الجميع، فضلاً عن سلاح بعض القطعات العسكرية المنسحبة الذي تركته في مواقعها وحصل عليه سكان تلك المناطق، او نتيجة توفره بكثرة في الاسواق بصورة مقصودة، وكل ذلك لاجل تهياة الارضيات المناسبة للاقتتال الطائفي والحرب الاهلية، لان من يجبر الناس على التسلح هو الفاعل الرئيس للجريمة، والهدف منها معروف هو لغرض اضعاف سلطة القانون والمساس بأمن الدولة والشعب داخلياً وخارجياً، وبالتالي اضعافها بغية تقسيمها الى دويلات تبقى متناحرة الى الابد وهي تعد من الجرائم السياسية[١٠] .

بعد ذلك اججت الاستراتيجية الامريكية التناحر والشحن الطائفي داخل صفوف ابناء الشعب العراقي، ومن بين اهم الوسائل التي استخدمتها لزيادة الشحن الطائفي هو افتعال ازمة انعدام الثقة بين النخب السياسية، اذ تعد من اسوء المراحل التي تمر بها الدول في تاريخها السياسي، فهي تعني ان التيارات والاحزاب السياسية اصبحت تغلب المصلحة الحزبية الفئوية على مصلحة الوطن، ووصلت الى مرحلة من الفرقة والتمزق وسهولة نقض الاتفاقات والتخلي عنها بل ومن الصعوبة تحقيقها ، وبعد عام ٢٠٠٣ اتبع البعض منها ،لاسيما الاحزاب الكبيرة الخطاب الطائفي كأداة للجذب والتأييد وكسب الاصوات في الانتخابات، اذ ان هذه المرحلة تتطلب الحصول على اكثر مقاعد ممكنة في البرلمان، وبما ان اغلب التيارات والاحزاب السياسية ليس لديها الرصيد الكافي من القواعد الجماهيرية، لذلك اخذت تحاول ان تظهر بصورة المدافع عن قوميتها او طائفتها مستفيدة من الدعم الخارجي ومخلفات الماضي وخوف الناس من المستقبل[١١] .

خريطة (٢) مشروع الشرق الأوسط الكبير بحسب نظرية برنارد لويس لتجزئة الشرق الأوسط

المصدر: مفيد محي الدين الصواف ، ويستمر الصراع على الشرق الأوسط الكبير، ط٣، دار الفكر للنشر، دمشق ، سوريا، ٢٠١٠، ص٢٥٧.

وضعت الفتوى المباركة الاحزاب والتيارات السياسية في العراق امام اختبار حقيقي، وهو لابد من توحيد مواقفهم وخطاباتهم وتحقيق الاصلاح السياسي للخروج من المأزق الخطير الذي تعرض له البلد بعد سيطرة التنظيم الارهابي على جزء من ارض العراق، وان يكونوا على قدر كبير من المسؤولية امام شعبهم ووطنهم التي تستوجبها التحديات الخطيرة الراهنة، اذ اكدت المرجعية الرشيدة ان من بين اهم الاسباب التي ادت الى حدوث الارباك والتخبط في المنظومة العسكرية والتي نتج عنها دخول الارهابيين الى ارض الوطن، هو الانقسامات والخلافات بين التيارات والاحزاب السياسية العراقية، فقد استفاد التنظيم الارهابي من هذا الانقسام بما وفر له من بيئة ملائمة للزحف والسيطرة على جزء من ارض العراق [١٢] .

ان الانتصارات الميدانية الكبيرة التي تحققت على اثر فتوى الجهاد الكفائي صاحبتها انتصارات عديدة في المجالات كافة، وكان ابرزها الانتصار السياسي الذي تمثل بخلق حالة من الشعور الجمعي بخطر داعش،

واعطت شحنة من الاطمئنان لدى الشعب العراقي اولاً ، فهي جعلته يشعر بان لديه قوة كافية متمثلة بالمرجعية الدينية العليا في مدينة النجف الاشرف، وان ايمان الشعب المطلق بها تعد قوة اخرى ، اذ بامكان المرجعية توظيفها بالوقت المناسب والصحيح لمواجهة الاخطار والازمات التي تعصف بالبلد. فضلاً عن انها جعلت الشعب العراقي يشعر بالفخر ثانياً، بعد ان ادرك بان القضاء على التنظيم الارهابي يعني كسر ارادة قوى دولية واقليمية كانت قد عولت على التنظيم بتحقيق مشروعها في الشرق الاوسط، فهي من اهتمت بصناعته من حيث التدريب على اعلى المستويات، وجلب المرتزقة من كافة دول العالم، وجهزته بالأسلحة والعتاد المتطور الذي يفوق العتاد والمعدات العسكرية العراقية، وزودته بالدعم اللوجستي واستراتيجيات القتال الحديثة والمتطورة .

ناهيك عن ان فتوى الجهاد المباركة ومانتج عنها من تشكيل قوات قتالية عالية المستوى جعلت الشعب العراقي يدرك بانه قادر على صد الاعتداءات ومواجهة الازمات الخطيرة التي يتعرض لها، وانه يمتلك مخزون كافي من المقاتلين الابطال الذين يمتلكون خبرات قتالية عالية وايمان كبير، وعدم الاعتماد على القوى الدولية التي تدعي باطلاً وبهتاناً انها تهتم بحماية الشعوب في حال تعرضها للخطر الخارجي .

من هنا كان من بين اهم الابعاد والاهداف لفتوى الجهاد الكفائي هو اعادة هيبة العراق ورفع مكانته بين الدول، لاسيما على الصعيد السياسي، اذ ان المرجعية الدينية كانت تدرك تماماً ان الانتصار على التنظيم الارهابي وطرده من ارض العراق سوف يجعل العالم يغير نظرته عن العراق بعد الاحداث التي مر بها منذ عام ٢٠٠٣، وكانت رسالة واضحة الى التيارات والنخب السياسية بان الارهابيين ما كان بمقدورهم احتلال جزء من ارض العراق بتلك السهولة، فيما لو كانت الاحزاب والتيارات السياسية متوحدة وهمها الاول مصلحة الوطن، لاسيما بعد ان ادركت الحكومة العراقية والقادة السياسيين ان فتوى الجهاد المباركة ما كانت لتصدر من المرجعية الدينية العليا لولا الخطر الكبير الذي يتعرض له البلد، واذا كان الشعب تقع عليه مسؤولية تنفيذ الفتوى ميدانياً من خلال التطوع والاستعداد للمواجهة، فان الحكومة تقع عليها مسؤولية رسم خريطة الطريق للتحركات السياسية بما يخدم الوطن، وتنظيم الادوار وتوجيه مسار العمل بما يتلائم وحجم المخاطر المحدقة، وان تعمل التيارات والاحزاب السياسية بمجموعها للصالح العام وان تحترم سيادة الدولة وارادة الشعب بالاتجاه الذي يقوي اللحمة الوطنية، وقبول التعددية العرقية والدينية والمذهبية والحفاظ على حقوق الاقليات والمكونات، وبهذا فهي قطعت الطريق امام بعض التيارات والاحزاب السياسية لاستخدام ورقة التعصب الطائفي لتحقيق مكاسب انتخابية، وقوضت استراتيجية المشروع القومي والطائفي التي عول عليها الغرب كثيراً لتمزيق العراق.

رابعاً: الابعاد الدينية والانسانية

عملت المجموعات الارهابية منذ دخولها للاراضي العراقية على تدمير كل شيء في المحافظات التي سيطرت عليها، بما فيها مرتكزات الدولة ومؤسساتها، وتدمير البنية الخدمية والتحتية، وتغييب للنظام والامن وسلطة القانون، وكان من بين اهم خطواتها التدميرية اشاعة الفوضى وخلق الصراعات والتجاذبات بين النسيج المجتمعي العراقي واثارة الفتنة الطائفية، من اجل تفكيك المجتمع وترسيخ قواعد واسس التفرقة في صفوفه ، وصولاً الى تنامي الضعف في المنظومة المجتمعية التي دخلت في تفاصيلها استراتيجيات دولية واقليمية ، من اجل رفع سقف طموحاتها بتطبيق مشروعها التقسيمي في الشرق الاوسط ، والذي كان يمثل العراق الخطوة الاولى لتنفيذه.

كانت استراتيجية التنظيم مبنية على تخويف وارهاب المجتمع ، وتدمير كل شيء امامها، لاسيما التاريخ والتراث والغاء ثقافات المجتمع، وقام بنشر الصور والمقاطع المصورة يظهر فيها ممارساته الوحشية كالذبح والاعدامات والحرق والاغراق والتفجيرات وهدم الممتلكات والمنازل، ويوهم المجتمع الدولي انه يقوم بذلك من اجل الدفاع عن الدين الاسلامي.

هذه الممارسات الوحشية تحتاج الى شخصيات تاريخية قوية تتجلى بالفطنة والدراية التامة بالأمور وتحدد المسارات الصائبة لمعالجتها، وتستطيع تمييز النتائج الايجابية التي سوف تتحقق، فكانت لفتوى الجهاد الكفائي اهداف وابعاد عديدة، ومن اهمها الابعاد الدينية والانسانية، فهي كانت تمثل رسالة الاسلام الحقيقي بما تضمنته من دعوة للإصلاح والايمان والتكامل الانساني، والعمل بمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتمسك بنهج القرآن الكريم والدين المحمدي الحنيف، فلم تكن الفتوى قد اقتصرت على الجانب العسكري وصد ودحر العدو فحسب، فالمرجعية الدينية ضمنتها بأبعاد دينية وانسانية تمثلت بالإرشادات والنصائح لتكون بمثابة المسارات التي يجب ان يتحلى بها متطوعي تشكيلات الحشد الشعبي وسائر افراد القوات المسلحة [١٣]، التي كان اهمها الحفاظ وعدم الاعتداء على الممتلكات الخاصة والعامة، وايواء واستغاثة النازحين والمشردين ومساعدتهم وارجاعهم الى ديارهم فوراً بعد التحرير، وكان الجزء الاكبر من البعد الانساني هو ما قدمته المرجعية الدينية بالإيعاز الى الحسينيات والجوامع والمواكب والهيئات الحسينية والمنظمات الدينية، فضلاً عن العشائر ووصل الامر الى التبليغ بفتح المنازل والاماكن العامة والمخيمات من اجل اغاثة المشردين والنازحين وايوائهم، ناهيك عن ايصال المساعدات للسكان المحاصرين في مناطقهم، والمساعدات والدعم اللوجستي للقوات العسكرية

وتشكيلات وفصائل الحشد الشعبي . وقد جاءت توصيات المرجعية الدينية بان يكون معتمدي مؤسساتها واساتذتها وطلبتها اول الملبيين لنداء الفتوى، فكان مشهد رجال الدين المعممين واضحاً في ساحات القتال، فضلاً عن قيامهم بتقديم الدعم الاغاثي واللوجستي الى المدنيين والمقاتلين(١٤).

كان من الابعاد والنتائج الدينية والانسانية النبيلة التي تمخضت عنها فتوى الجهاد المباركة هو ترسيخ حقائق مهمة في اذهان الناس، والتي كان اهمها ان المرجعية الدينية العليا في مدينة النجف الاشرف هي الاقدر والاجدر من بين المؤسسات الاخرى ، سواء اكانت الدينية اوالسياسية ، التي تستطيع اعادة الامور الى مسارها ونصابها الصحيح، وهي حاضرة دائماً لمعالجة الازمات والتحديات الخطيرة التي يتعرض لها العراق وسائر الدول الاسلامية، فهي مواكبة لكل الاحداث والتطورات التي تعرض لها العراق قبل وبعد عام ٢٠٠٣، لتتدخل في الوقت المناسب وتحسم الامر بحسب ما تراه ملائماً للظرف الراهن، وان الشعب العراقي والعشائر العراقية هي حاضرة دائماً مع المرجعية الدينية، فهي الساعد المتين لها في كل مرة لدرء الاخطار عن الوطن. ونتيجة كون فتوى الجهاد الكفائي وطنية صادقة متعدية لحدود الانتماءات الطائفية والقومية، لذلك لم يقتصر تلبيتها على طائفة الشيعة ومقلدي السيد السيستاني (دام ظله) فحسب، بل ايضاً بالنسبة لمقلدي المراجع كافة، بل وحتى بالنسبة للقوميات والاديان والمكونات الاخرى، فهناك الكثير ممن استجابوا للفتوى المباركة كانوا من قوميات واديان وطوائف مختلفة داخل النسيج المجتمعي العراقي ، وبذلك فان الفتوى المباركة قد رسخت عند الجميع بان المرجعية الدينية العليا في مدينة النجف الاشرف قدمت الاسلام الحقيقي ، وهو لايتمثل بدين داعش وماجاء به ، بعد ان قدم الدين الهجين من خلال ممارساته التي رفضتها بالاخير جميع مكونات الشعب العراقي وطوائفه .

خامساً: الابعاد الاقتصادية

تسمى الحروب الحديثة بالحروب الشاملة، فهي ما عادت تقتصر على ساحات القتال بل تشمل كل قطاعات الدولة بمواردها وفروعها الانتاجية،ومقوماتها البشرية والطبيعية. وكما هو معروف ان تدهور الاوضاع الامنية والسياسية ينعكس بالسلب على الاوضاع الاقتصادية، اذ ان الشركات والمستثمرين واليد العاملة ترغب بالعمل في بيئات مستقرة امنياً وسياسياً(١٥).

لقد قام التنظيم الارهابي بتدمير البنى الانتاجية والتحتية في المناطق التي وقعت تحت سيطرته، اذ قام بتخريب انابيب نقل النفط الخام، والمحولات والابراج الخاصة بنقل الطاقة الكهربائية ومحطات توليدها، وشبكات

نقل الماء الصالح للشرب ، والطرق والجسور، فضلاً عن سرقة كافة الموجودات سواء اكانت العائدة للحكومة او للقطاع الخاص، وسرقة المشتقات النفطية، ناهيك عن الاستيلاء على المصارف العائدة للحكومة والقطاع الخاص والاسلحة والذخائر التي تركتها القوات العراقية ، وقد قدرت الحكومة العراقية خسائرها بنحو ٣٦مليار دولار وخسائر الممتلكات الخاصة فقد قدرتها ب ٧,٥مليار دولار [١٦] . ان الاعمال التدميرية التي قام بها التنظيم الارهابي ادت الى انخفاض قيمة الصادرات العراقية من السلع والنفط الخام للأعوام (٢٠١٥– ٢٠١٧)، جدول (٢)، وهي الاعوام التي مثلت مدة سيطرة التنظيم الارهابي على

جدول (٢) قيمة الصادرات العراقية للأعوام ٢٠٠٦– ٢٠٢٢

ت	الاعوام	قيمة الصادرات مليار دولار	الناتج المحلي الاجمالي (مليار دولار)	متوسط نصيب الفرد من الناتج (الف دولار)
١	٢٠٠٦	٦٣.٣	٨٣,٧	٠,٩
٢	٢٠٠٨	١٢٥.٤	١٥٧.٦	٢.٣
٣	٢٠١٠	١٠٨.٠	١٦٢.٥	٦.١
٤	٢٠١٢	١٤٧.٥	٢٧٣.٥	٧.٥
٥	٢٠١٤	١٣٢.٨	٢٦٦.٧	٥.٩
٦	٢٠١٥	٦٦.٧	١٩٤.١	٤.٨
٧	٢٠١٦	٥٥.٠	١٩٦.١	٤.٦
٨	٢٠١٧	٧٣.٨	١٨٧.٥	٥.٠
٩	٢٠١٨	٨٥.٧	٢٦٨.٩	٦.٨
١٠	٢٠٢٢	١٢٤.٨	٣٨٣.٢	٨.٨

المصدر: جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، مديرية الحسابات القومية، التقديرات الاجمالية للصادرات والناتج المحلي الاجمالي للأعوام (٢٠٠٦– ٢٠٢٢)

بعض المحافظات العراقية . فضلاً عن ماتعرضت له اسعار النفط الخام من الهبوط في الاسواق العالمية، وهو ما ادى الى انخفاض الناتج المحلي الاجمالي لنفس الاعوام، ومانجم عنه من انخفاض نصيب الفرد من الناتج الاجمالي، لذلك جاءت الموازنة المالية للاعوام (٢٠١٥– ٢٠١٧) تقشفية وخالية من المشروعات الاستثمارية، وذلك بسبب قلة الايرادات التي اصبحت بالكاد تكفي للجوانب التشغيلية[١٧].

لم تقتصر اهداف وابعاد الفتوى المباركة على تعبئة الجماهير والجوانب الامنية والعسكرية فحسب، وانما كان من بين اهم اهدافها هو اعادة اصلاح المنظومة الاقتصادية، وتحقيق الاستقرار الاقتصادي على غرار

الاستقرار الامني والسياسي، واعادة فتح الاسواق والمعاملات التجارية للمناطق المحررة، وتعمير البنى التحتية ، والمنشآت الاقتصادية التي دمرها الارهابيين، وتحقيق الاستقرار في الاسواق من خلال توفير الحاجات الاساسية للمجتمع بغية انخفاض الاسعار وتحقيق التوازن الاقتصادي، والمحافظة على المال العام.

سادساً: الابعاد الدولية:

منذ الاشهر الاولى لدخول القوات الامريكية للعراق عام ٢٠٠٣، بدأت تظهر وتتوضح استراتيجياتها الهادفة الى نشر الفوضى والدمار الشامل بجميع مرافق الحياة وادخال البلد في مستنقع الحرب الاهلية، تمهيداً لتقسيمه الى دويلات صغيرة على أسس عرقية ومذهبية لتبقى متصارعة ومتناحرة على المدى البعيد، ومن ثم تطبيق هذه الاستراتيجية على بعض دول الشرق الاوسط بهدف اضعاف هذه الدول لكي يبقى الكيان الصهيوني القوة الابرز والاوحد في المنطقة، لذلك فأن استراتيجية تنظيم داعش الارهبي ما هي الا مرحلة مكملة للمشروع الامريكي – الصهيوني بعد فشل مرحلة الحرب الطائفية.

كانت القوى الدولية والاقليمية التي شاركت في صناعة التنظيم الارهابي تعتقد بنجاح الاستراتيجيات التي وضعتها له، وهي متأكدة تماماً بانهيار المنظومة العسكرية والامنية العراقية امامه ، وفشل الدول في مقاومته وايقافه، ولم تكن واضعة في حساباتها تدخل المرجعية الدينية العليا في مدينة النجف الاشرف وقدرتها للتأثير على الشعب العراقي وسرعة تكوين قوات لديها من الخبرة القتالية والتنظيم العالي تستطيع ان تقف بوجهه ، ومن ثم قلب موازين القوة لصالح الاجهزة الامنية العراقية.

لقد حذرت المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف من مغبة اتخاذ العراق منطلقاً لنشر الارهاب والفكر المتطرف في باقي دول الشرق الاوسط، اذ ان المخطط يتضمن اتساع نطاقه ليشمل دولاً وشعوباً اخرى في المنطقة، بهدف تشويه صورة الاسلام والمسلمين. ومن هنا فان المرجعية الدينية شخصت الارهاب على انه ظاهرة عالمية تزاوله تنظيمات ارهابية باستراتيجيات خارجية عابرة للحدود والقارات، وتزاول انشطتها الاجرامية في اي بقعة تجد فيها البيئة المناسبة لتواجدها وتوسعها، وتستخدم بذكاء خارق سلاح الاعلام في حروبها المتطرفة، لاسيما شبكة الانترنت ، ومواقع التواصل الاجتماعي، وعلى المجتمع الدولي التكاتف والعمل بجدية من اجل وضع الحلول المناسبة والجذرية للقضاء عليه، ولابد من توفر القناعات التحقيقية لدى دول المنطقة للتخلص من هذه الآفة الخطيرة قبل ان تتكوي بنيرانها[١٨].

حظيت فتوى الجهاد الكفائي باهتمام كبير على المستوى الاقليمي والدولي، وجاء هذا الاهتمام كاعتراف من المجتمع الدولي بالمكانة التي تتبوئها المرجعية الدينية في النجف الاشرف في المجتمع الاسلامي والعراقي، والتي بفعلها تولدت الاستجابة السريعة من الجماهير العراقية التي زحفت للتطوع في فصائل الحشد الشعبي[١٩]. لذلك كانت الفتوى المباركة تعد استراتيجية صادمة للمجتمع الدولي، وبعد الانتصارات التي تحققت ضد التنظيم الارهابي وقف المجتمع الدولي والقوى الاقليمية والدولية منبهراً امام هذه الفتوى، وبعد طرده تماماً من الاراضي العراقية تيقنت كل الاطراف بقدرة المرجعية الدينية في النجف الاشرف وثقلها وتأثيرها الواسع في المسلمين بصورة عامة والعراقيين بصورة خاصة، وهي تستطيع في اي وقت توحيد الشعب ورفع الروح المعنوية لديه وتنظيم قوات لديها من العقيدة الايمانية العالية القادرة على تلبية التكليف الشرعي على اتم وجه، وهي ما زالت تمتلك من المكانة والحضور والتأثير مالا تمتلكه اية مؤسسة حكومية او دينية اخرى في العراق والعالم الاسلامي برمته، كونها تعمل وتتصرف فوق كل العناوين والانتماءات القومية والاجتماعية والسياسية والمناطقية، فالمرجعية الدينية في النجف الاشرف تصدر فتاوى الجهاد للدفاع عن المسلمين على اختلاف طوائفهم عند تعرضهم للتهديدات الخارجية، فهي تنظر اليهم مجرد نطقهم للشهادتين في الاسلام وبالتالي فهم اخوة في الدين ومن الواجب الشرعي على كل المسلمين الدفاع عنهم، كما هو الحال في فتوى الجهاد التي اطلقتها المرجعية الدينية للدفاع عن المسلمين ضد الاستعمار الايطالي في ليبيا عام ١٩١١[٢٠]، وفتاوى المرجعية بجمع التبرعات للمسلمين في حال تعرضهم للتهديدات والكوارث الطبيعية، كما هو الحال في جمع التبرعات للشعبين السوري والفلسطيني عام ٢٠٢٣ . ورغم التخوف الذي رافق بداية تشكيل الحشد الشعبي من بعض الجهات في المحافظات الغربية وبعض الدول الاقليمية والدولية، كونه اقتصر في بداية تشكيله على المتطوعين الشيعة ولم يدخل المتطوعين السنة وبقية القوميات فيه بعد، فضلاً عن الشحن الطائفي الذي ما زالت تتخذه بعض الجهات السياسية والدولية كوسيلة لتحقيق اهدافها، ولكن بعد دخول المتطوعين من بقية الطوائف والقوميات والعمل الملموس الذي قام به الحشد الشعبي في تحرير المحافظات من الارهاب، وقيامه بنشر روح التعايش السلمي فيها، وتعزيز الامن والاستقرار، ومساهمته في عودة اللاجئين في المناطق المحررة، كل ذلك جعلته يحظى بالمقبولية الكبيرة بين اوساط المجتمع العراقي، فضلاً عن المقبولية والتأييد الذي حظي به من المجتمع الدولي، حتى اصبح يعد رقماً مهماً وصعباً في معادلات توازن القوى في الساحة العراقية والاقليمية، فهو اصبح واحد من

اهم المؤسسات الامنية والعسكرية التي سوف يعتمد عليها في درء المخاطر والتحديات التي قد يتعرض لها العراق.

الاستنتاجات والمقترحات

الاستنتاجات

١. اسهمت الفتوى المباركة للجهاد الكفائي التي اصدرتها المرجعية الدينية العليا في مدينة النجف الاشرف عام ٢٠١٤ ، في الحفاظ على السلم والنسيج المجتمعي العراقي واسست لخارطة طريق صحيحة وسليمة من خلال تأكيدها على رص الصفوف والابتعاد عن كل ما يؤدي الى تأجيج الخلافات والانقسامات ، ونبذ كل مايبعث الى الفرقة والبغضاء بين ابناء الشعب العراقي .

٢. كان من الابعاد والاهداف الجيوسياسية المهمة للفتوى المباركة هي تعبئة الجماهير والبدء بتشكيل قوات بمعنويات قتالية عالية ، حملت اسم (الحشد الشعبي) ، تمكنت من ايقاف تقدم الجماعات الارهابية في الاراضي العراقية، وهوما ادى الى رفع الروح المعنوية للمنظومة العسكرية العراقية، والتي استطاعت بمشاركة الوية وفصائل الحشد الشعبي من تحرير الارض العراقية التي كانت قد سيطر عليها الارهابيين، وبذلك فهي يرجع اليها الفضل بالحفاظ على هيبة الدولة ونجاح عدم سقوطها بيد التنظيم الارهابي ، والحيلولة دون تنفيذ المشروع الذي كان يستهدف تقسيم العراق.

٣. وضعت فتوى الجهاد الكفائي المسؤولين والنخب السياسية في العراق امام اختبار حقيقي، وحملتهم المسؤولية التاريخية امام شعبهم ووطنهم بضرورة توحيد مواقفهم وخطاباتهم، فمن بين اهم العوامل والاسباب التي وفرت بيئة مناسبة لدخول الارهابيين وسيطرتهم على بعض المحافظات العراقية ، هي الانشقاقات والصراعات بين الاحزاب والتيارات السياسية في الساحة العراقية.

٤. تضمنت فتوى الجهاد الكفائي ابعاداً انسانية غاية في الاهمية ،وعدت كخارطة طريق لعمل المقاتلين بكافة القطعات العسكرية المشاركة بعمليات التحرير، التي من اهمها حماية والمحافظة على الممتلكات العامة والخاصة، ومساعدة الناس لاسيما النازحين وارجاعهم الى ديارهم، ولأنها فتوى وطنية صادقة متعدية لحدود الانتماءات الضيقة استجابت لها كل الطوائف والمكونات والقوميات العراقية.

٥. لم تقتصر ابعاد الفتوى المباركة على تعبئة الجماهير لغرض طرد الارهابيين وتحرير الارض ، وانما تضمنت ابعاداً اقتصادية والتي من اهمها اعادة فتح الاسواق في المناطق والمدن المحررة ، وتوفير الحاجات الضرورية للسكان بغية تحقيق الاستقرار الاقتصادي فيها ، الذي لا يقل اهمية عن الاستقرار الامني ، واعادة تعمير المنشآت الاقتصادية المدمرة.

٦. حظيت فتوى الجهاد الكفائي باهتمام كبير من المجتمع الدولي، فبعد استجابة الجماهير السريعة للفتوى ، والانتصارات العظيمة التي حققتها الوية وفصائل الحشد الشعبي، والقوات الامنية العراقية ، وقف المجتمع الدولي منبهراً امام قدرة المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف على التأثير بالجمهور العراقي والمجتمع الاسلامي، وتنظيم قوات لديها من العقيدة الايمانية العالية القادرة على تلبية التكليف الشرعي على اتم وجه.

المقترحات

١. بعد الدور الذي اسهمت به الفتوى المباركة للجهاد الكفائي ،بالمحافظة على النسيج المجتمعي العراقي ، ومنع حدوث الانقسامات والخلافات بين ابناء الشعب الواحد، لذلك فمن الواجب على ابناء الشعب العراقي بكل اطيافهم وقومياتهم التمسك بإرشادات ونصائح المرجعية الدينية العليا في مدينة النجف الاشرف ، باعتبارها المؤسسة الاقدر والاكثر وضوحاً ووطنية ، وهي الاجدر بالمحافظة على تماسك الشعب ، من خلال طروحاتها وفتاويها المعتدلة العابرة لحدود الانتماءات الضيقة.

٢. بعد الدور الذي قامت به الوية وفصائل الحشد الشعبي بتحرير المناطق والارض العراقية من سيطرة الجماعات الارهابية، لذلك يجب ان تبقى هذه القوات تحت مظلة وزارة الدفاع العراقية بعد تطوير قدراتها ومعداتها العسكرية لتساهم في الدفاع عن الوطن في حالة تعرضه للاعتداءات الخارجية.

٣. ضرورة ان تعي النخب والاحزاب والتيارات السياسية في العراق لخطورة استخدام الخطاب والتصعيد الطائفي من اجل كسب الجماهير، وان النجاح الابرز هو العمل بجدية حقيقية وبمشاركة الكل من اجل الصالح العام وبالاتجاه الذي يقوي اللحمة الوطنية ويصب في مصلحة الوطن والشعب.

٤. ضرورة جعل الوصايا والتوجيهات الانسانية والدينية التي تضمنتها الفتوى المباركة كخارطة طريق عند الشروع باي عمل، كونها تعزز الروح الوطنية، وتساهم في تماسك الشعب وعدم الانجراف في الفتنة الطائفية، وتقوي الثقة بين السكان والقوات الامنية.

٥. تكثيف الدراسات والابحاث التي تهتم بفتوى الجهاد الكفائي، لاسيما ابحاث ودراسات الطلبة العراقيين في الخارج، كي يتم تعريف المجتمع الدولي بصورة اكثر دقة عن اهمية الفتوى المباركة والابعاد التي تضمنتها، لاسيما دورها في حفظ العراق وقدرة العراقيين في الدفاع عن وطنهم ومقدساتهم في حالة تعرضهم للتهديدات الخارجية.

٦. من الواجب الوطني الديني الالتفاف حول المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف والاخذ بنصائحها ، لاسيما من قبل الاحزاب والتيارات والنخب السياسية ، بعد ان تيقن الجميع بان المرجعية الدينية العليا ،هي الوحيدة التي تملك قدرة التاثير بالشعب ومن ثم درء المخاطر ، وذلك بحكم فتاويها النبيلة العابرة للقومية والعرقية والطائفية .

هوامش البحث

١. جواد صالح مهدي، الاهمية الجيوبوليتيكية لمحافظة نينوى واثرها في قوة الصراع حولها عقب عام ٢٠١٤، مجلة جامعة كربلاء العلمية، العدد ٢، المجلد ١٦، ٢٠١٨، ص١١٩.

٢. مجيد خضر احمد، وتافكة عباس البستاني، جريمة اثارة الحرب الاهلية والاقتتال الطائفي، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، المجلد٤ العدد ١٣، جامعة كركوك، ٢٠١٥، ص١٨٩.

(*) التنظيم الارهابي (داعش): هو جماعات تكفيرية مسلحة تطلق على نفسها تسمية (الدولة الاسلامية في العراق والشام)، تأسس عام ٢٠٠٣ على يد ابو مصعب الزرقاوي تحت اسم (جماعة التوحيد والجهاد) التي تعد النواة الاولى للتنظيم الارهابي (داعش)، وهو ينتمي فكريا وعقائدياً الى الحركة السلفية الوهابية التي تتخذ من تكفير المذاهب الاسلامية منهجاً لها بحجة ادخالها الغلو والبدع في الدين، ويتخذ التنظيم التكفير والارهاب منهجاً له في السيطرة والتوسع، ويدعي زوراً وبهتاناً ومن اجل استمالة الناس الى تطبيق الشريعة واعادة الخلافة الاسلامية، وقد انبثق هذا التنظيم من تنظيم القاعدة الارهابي.

احسان العارضي، الشهادة الحسينية والحشد الشعبي، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، العدد ٤٣، النجف، ٢٠١٧، ص١٢٠.

٣. صباح مهدي رميض، فتوى المرجعية من تحريم التنباك الى الجهاد الكفائي– مقاربات تاريخية وتحليل النتائج والمعطيات، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية، العدد ٢٠، السنة ١١، جامعة الكوفة، ٢٠١٧، ص١٣٧.

(**) فتوى الجهاد الكفائي: هي فتوى شرعية اصدرتها المرجعية الدينية في النجف الاشرف ممثلة بزعيمها السيد علي الحسيني السيستاني (دم ظله) اثناء خطبة الجمعة في ١٣ حزيران عام ٢٠١٤ والتي جاء فيها (يواجه العراق وشعبه تحدياً خطيراً وكبيراً، وان الارهاب لا يستهدف السيطرة على محافظة دون غيرها، بل يستهدف السيطرة على العراق كله، لذلك فان مسؤولية التصدي له هي مسؤولية الجميع ولا تخص طائفة معينة، وعلى الجميع تحمل المسؤولية وان كان التحدي كبيراً في الحفاظ على وحدة الدولة وكرامة الشعب وصيانة المقدسات، وان الجهاد الكفائي هو الذي لو قام به العدد اللازم لسقط التكلف

عن الآخرين، فيكون وجوباً على الجميع حتى يبلغ الامر كفايته ، وان من يضحي بنفسه في سبيل الدفاع عن بلده واهله فانه يكون شهيدا ان شاء الله تعالى).

المصدر: موقع مكتب سماحة المرجع الديني الاعلى السيد علي الحسيني السيستاني ، الموقع الالكتروني :Sistani.orglarabiclarchivel24918l

٤. حسن المصطفى، الحشد الشعبي عصيان مدني وديني، بحث منشور على الموقع الالكتروني، ص٤ : https//www.alarabiya.net

٥. غسق عبد الرضا بريسم، اسباب تطوع الشباب في الحشد الشعبي، مجلة كلية التربية، العدد ٣٣، جامعة واسط، ٢٠١٨، ص٦٢٠.

٦. حيدر علي حسين، الحشد الشعبي- رؤية في الدور المستقبلي، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد ١٣، المجلد ١٥، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٨، ص٥.

٧. كرار انور بديري، سقوط الموصل: العراق ومحصلة الاعباء الداخلية والخارجية، ط١، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠١٥، ص٣٧.

٨. صباح مهدي رميض، مصدر سابق، ص١٥٠.

٩. احسان العارضي، الشهاد الحسينية والحشد الشعبي، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، العدد ٤٣، النجف الاشرف، ٢٠١٧، ص١٢٠.

١٠. مجيد خضر احمد، وتافكة عباس البستاني، مصدر سابق، ص١٩٩.

١١. علي حسين كاظم العصامي، هوية الخطاب السياسي العراقي بعد ٢٠٠٣ ودور المرجعية الدينية في توحيد الصف الوطني، مجلة قضايا سياسية، العدد ٥٢، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠١٨، ص٥.

١٢. عمار ياسر العامري، الابعاد السياسية والاجتماعية لفتوى الجهاد الكفائي، مؤسسة اديان للطباعة، النجف الاشرف، ٢٠١٦، ص٨٥.

١٣. حيدر مسن سلمان الشويلي، دور المرجعية في حفظ المجتمع من الارهاب (فتوى الجهاد الكفائي انموذجاً)، من اعمال المؤتمر العلمي الدولي التاسع عشر الذي اقامه مركز دراسات الكوفة ودائرة العتبات المقدسة والمزارات الشريفة برعاية العتبة العلوية المقدسة تحت عنوان (المرجعية ودورها في بناء الدولة، ٢٠٢٠، ص٦.

١٤. عادل الجبوري، بعد ٩ اعوام.. الجهاد الكفائي والحشد الشعبي في العراق، بحث منشور على الموقع الالكتروني، https://www.Shat-attahreer.comص٤:

١٥. كريم سالم حسين، الاصلاح الاقتصادي في العراق ما بعد عام ٢٠٠٣ رؤية مستقبلية، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد، ٢٠١٨، ص١٤.

١٦. نصير محمد عزال وزميلاه، السياسة المالية ودورها في تحقيق التنمية الاقتصادية في العراق للمدة (٢٠١٠- ٢٠١٧)، المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية، العدد ٦٤، الجامعة المستنصرية، ٢٠٢٠، ص٦٧.

١٧. همسه قصي عبد اللطيف، وعمر عدنان خماس، التنمية الاقتصادية في العراق بعد عام ٢٠٠٣ (بين الواقع والطموحات)، بحث منشور على الموقع الالكتروني، ص٦: <https://nahrainuniv.edu.iq

١٨. البعد الانساني لفتوى الجهاد الكفائي للمرجعية الدينية العليا، بحث منشور على الموقع الالكتروني، ص٦: <https://ar.Shafagha.com

١٩. عادل الجبوري، مصدر سابق، ص٦.

٢٠. رنا سليم شاكر العزاوي، ووائل جبار جودة النداوي، فتوى الجهاد للمرجعية الدينية في النجف ضد الاستعمار الايطالي في ليبيا عام ١٩١١، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية، العدد ٢٢، جامعة بابل، ٢٠١٥، ص٥٢٧.

مصادر البحث :

١. احمد، مجيد خضر، وتافكة عباس البستاني، جريمة اثارة الحرب الاهلية والاقتتال الطائفي، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، العدد ١٣، المجلد ٤، جامعة كركوك، ٢٠١٥.

٢. بديري، كرار انور، سقوط الموصل، العراق ومحصلة الاعباء الداخلية والخارجية، ط١، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠١٥.

٣. بريسم، غسق عبد الرضا، اسباب تطوع الشباب في الحشد الشعبي، مجلة كلية التربية، العدد ٣٣، جامعة واسط، ٢٠١٨.

٤. البعد الانساني لفتوى الجهاد الكفائي للمرجعية الدينية العليا، بحث منشور على الموقع الالكتروني https://ar.Shafagha.com

٥. الجبوري، عادل، بعد ٩ اعوام.. الجهاد الكفائي والحشد الشعبي في العراق، بحث منشور على الموقع الالكتروني : <https://www.Shat-attahreer.com

٦. حسين، حيدر علي، الحشد الشعبي- رؤية في الدور المستقبلي، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد ١٣، المجلد ١٥، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٨.

٧. حسين، كريم سالم، الاصلاح الاقتصادي في العراق ما بعد عام ٢٠٠٣ رؤية مستقبلية، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد، ٢٠١٨.

٨. رميض، صباح مهدي، فتوى المرجعية من تحريم التنباك الى الجهاد الكفائي– مقاربات تاريخية وتحليل النتائج والمعطيات، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية، العدد ٢٠، السنة ١١، جامعة الكوفة، ٢٠١٧.

٩. الشويلي، حيدر محسن سلمان، دور المرجعية في حفظ المجتمع من الارهاب (فتوى الجهاد الكفائي انموذجاً)، من اعمال المؤتمر العلمي الدولي التاسع عشر الذي اقامه مركز دراسات الكوفة ودائرة العتبات المقدسة والمزارات الشريفة برعاية العتبة العلوية المقدسة تحت عنوان (المرجعية ودورها في بناء الدولة)، ٢٠٢٠.

١٠. العارضي، احسان، الشهادة الحسينية والحشد الشعبي، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، العدد ٤٣، النجف الاشرف، ٢٠١٧.

١١. العامري، عمار ياسر، الابعاد السياسية والاجتماعية لفتوى الجهاد الكفائي، مؤسسة اديان للطباعة، النجف الاشرف، ٢٠١٦.

١٢. عزال، نصيرمحمد وزميلاه، السياسة المالية ودورها في تحقيق التنمية الاقتصادية في العراق للمدة (٢٠١٠– ٢٠١٧)، المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية، العدد ٦٤، الجامعة المستنصرية، ٢٠٢٠.

١٣. العزاوي، رنا شاكر سليم، ووائل جبار جودة النداوي، فتوى الجهاد للمرجعية الدينية في النجف ضد الاستعمار الايطالي في ليبيا عام ١٩١١، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية، العدد ٢٢، جامعة بابل، ٢٠١٥.

١٤. العصامي، علي حسين كاظم، هوية الخطاب السياسي العراقي بعد ٢٠٠٣ ودور المرجعية الدينية في توحيد الصف الوطني، مجلة قضايا سياسية، العدد ٥٢، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠١٨.

١٥. عبد اللطيف، همسة قصي، وعمر عدنان خماس، التنمية الاقتصادية في العراق بعد عام ٢٠٠٣ (بين الواقع والطموحات)، بحث منشور على الموقع الالكتروني :
<https://ar.nahrainuniv.edu.iq

١٦. المصطفى، حسن، الحشد الشعبي عصيان مدني وديني، بحث منشور على الموقع الالكتروني
<https://www.alarabiya.net

١٧. مهدي، جواد صالح، الاهمية الجيوبوليتيكية لمحافظة نينوى واثرها في قوة الصراع حولها عقب عام ٢٠١٤، مجلة جامعة كربلاء العلمية، العدد ٢، المجلد ١٦، ٢٠١٨ .